الاتجاه التكاملي وتفسير الجريمة:

وهذا الاتجاه يفسر السلوك الإجرامي بأنه يندرج تحت مجموعة من العوامل المتفاعلة والتي يمكن تقسيمها إلى نوعين: العوامل الذاتية والعوامل البيئية. وركز هذا الاتجاه اهتمامه حول المجرم والظروف الاجتماعية البيئية، لأن الجريمة تنتج عن تفاعل جوانب الشخصية والبيئة الداخلية والخارجية التي يعيش فيها الفرد ويتفاعل معها، وعلى هذا فالسلوك الإجرامي يرجع إلى عوامل شمولية وتكاملية.

فالمجرم إنسان عادي يعيش في مجتمع وفي ظروف اجتماعية قد ينتج عنها سلوك اجتماعي سوي أو سلوك إجرامي، حسب سيطرة العوامل الإيجابية الشخصية أو السلبية. فالظاهرة الإجرامية وفقا للاتجاه التكاملي قد تكون ناتجة عن شخصية الفرد نفسه أو عن الظروف الاجتماعية التي تدفع الفرد إلى عدم الامتثال للقيم والمعايير الاجتماعية، وبالتالي لا يوجد عامل واحد في ارتكاب الجريمة إنما ترجع إلى منظومة متفاعلة من العوامل والتي من المحتمل أن يكون هناك عاملا أكثر دينامية يؤدي بالشخص إلى الامتثال إليه وتحوله من السواء إلى الخروج عن الضوابط الاجتماعية.

وهناك اعتباران أساسيان للتفسير التكاملي للسلوك الإجرامي وهما:

– وجوب استبعاد أي تفسير للسلوك الإجرامي يبنى على فكرة العامل الواحد أو السبب الواحد. فنظرية واحدة لا تستطيع تقديم تفسير علمي مقبول للظاهرة الإجرامية.

– وجوب اتباع الأسلوب التكاملي في بحث الظاهرة الإجرامية بين مختلف فروع العلوم التي تهتم بدراستها في كافة جوانبها. وعلى ذلك فإنه يجب على الباحث في السلوك الإجرامي أن يتعمق في المشكلة ليس من جانب واحد فقط وإنما من جميع جوانبها بغية تحديد العوامل التي أسهمت في وجود الظاهرة.

وعليه فإن النظرة التكاملية للسلوك الإجرامي ربما تحقق الفهم الأفضل والتفسير المناسب له، بما يعين على التنبؤ به في المستقبل، وبالتالي إمكان التحكم فيه أو ضبطه.

وتتبنى الخدمة الاجتماعية هذا الاتجاه للعمل على الوقاية والعلاج من السلوك الإجرامي الذي يؤثر على الأمن الاجتماعي، فتعمل بأساليب هذا الاتجاه لتنمية القدرات الإيجابية للشخص ومواجهة الاضطرابات بما يحقق الضوابط الاجتماعية وذلك عن طريق الاعتماد على العمل الجماعي في مؤسسات الرعاية المختلفة. **(أبو الحسن عبد الموجود إبراهيم، 2016، ص ص.68-69)**

وفيما يلي عرض لنموذجين من محاولات التفسير التكاملي، الأول قدمه هورتون ولسلى، والثاني ويلسون وهيرتشتاين.

5-1 تفسير هورتون ولسلي:

أشار الباحثان هورتون Horton ولسلى Leslie إلى وجود ثلاثة مناحي، لكل منها دور معين في إلقاء الضوء على التفسير التكاملي للسلوك الإجرامي وهي:

أ- منحى الانحراف الشخصي:

ويعد الانحراف حسب هذا المنحى نتيجة لفشل الفرد في التوافق مع القيم والمعايير ومختلف أشكال السلوك المقبول في المجتمع. فبدلا من أن يمتثل الفرد لتلك القواعد السائدة تجده يخرج عنها بصورة انحرافية واضحة. وبالطبع لا يمكن في ظل هذا المنحى تفسير جنوح الأحداث الذين ينشؤون في بيئات إجرامية. وذلك لأن هؤلاء الجانحين يعبرون في الواقع عن درجة عالية من التوافق النفسي والاجتماعي مع بيئتهم.

ب- منحى الصراع القيمي:

يمكن لهذا المنحى تفسير العديد من الانحرافات التي تنتج عن صراع القيم في المجتمع. فإذا ما حدث صراع في القيم حول بعض الجوانب السلوكية التي يعتبرها البعض انحرافية بينما يعتبرها البعض الآخر سوية، تكون هناك فرصة لظهور السلوك الانحرافي. فهناك على سبيل المثال بعض الممارسات التي لا يوجد في الثقافة الأمريكية إجماع على كونها انحرافية مثل البغاء والإدمان والقمار، الأمر الذي ينعكس على ما يتخذ إزاءها من تدابير وقائية أو علاجية أو عقابية.

وهناك جانب آخر لصراع القيم كعامل مهم في تفسير السلوك الانحرافي وهو صراع القيم الذي يحدث لدى الأفراد أثناء عملية التنشئة الاجتماعية في إطار الثقافة التي يعيشون فيها، فالصراع بين بعض القيم التي تلقاها الانسان مثل: الصدق والأمانة من مختلف القنوات القائمة على عملية التنشئة الاجتماعية كالمدرسة والبيت والأقران، وبين ما يجده في الممارسات الواقعية يؤدي إلى فقدانه الثقة في هذه القيم، الأمر الذي يفتح الباب ويمهد للانحراف بعيدا عنها. وذلك على أساس أن الانحراف هو المدخل المناسب للتعامل مع الواقع.

ج-منحى التفكك الاجتماعي:

ويفترض أن زيادة معدلات التغير الاجتماعي في المجتمع هي السبب المباشر لنشأة الجرائم وانتشارها، فالمجتمع المستقر نسبيا تقل داخله معدلات الجرائم إذا قورن بمجتمع آخر في طور التغير السريع. ومثال ذلك ما يحدث أثناء عمليات التنمية الريفية وأثناء الاحتكاك الثقافي بين المجتمعات التقليدية والمجتمعات المتحررة...الخ. وهذا من شأنه أن يحدث تفككا في بناء المجتمع وفي نماذج العلاقات السائدة بين أفراد جماعاته الاجتماعية وبين هذه الجماعات وبعضها البعض.

2-5 العوامل التكوينية التفاعلية:

قدمها "ويلسون Wilson" و"هيرنشاتين Hernstein" اللذان رفضا فكرة وجود مورثات تسبب السلوك الاجرامي، لكنهما استخلصا أن بعض الأشخاص لديهم استعداد وراثي حيال الجريمة إذا لم يوجهوا في اتجاهات أخرى. وافترض الباحثان أن هناك ثلاثة عوامل تساهم في حدوث السلوك الإجرامي وهي:

أ- **البيئة الاجتماعية:** حيث يعتقد الباحثان أن قيم المجتمع العرفية لديها أهمية كبيرة في تفسير السلوك الإجرامي. فالتحول الذي حدث في الثقافة الأمريكية من تقدير التحفظ والنظام إلى سيادة توجه الأنانية (أنا أولا) قد أدى إلى تأثير كبير على مستوى الفرد وساهم في تفاقم معدلات الجريمة في الحقبتين الأخيرتين من القرن الحالي.

ب- **العلاقات العائلية (الأسرية):** وهي العامل الثاني الذي يؤثر في الجريم، فعدم اكتراث بعض الآباء أو تناقضهم في معاملة أطفالهم أو قلة خبرة بعض الأسر في منح المكافآت أو تقديم العقاب من شأنه أن يؤدي إلى السلوك الإجرامي الحتمي في نهاية الأمر.

ت- **التكوين البيولوجي:** وهو العامل الذي أثار الكثير من الجدل، فمن الخصائص النوعية التي ينظر إليها على أنها وراثية جزئيا، وذات تأثير فعال هي النوع، والذكاء والاندفاعية ونمط الجسم.

ورأى الباحثان أن المجرمين يكون أفقهم العقلي محدود فمن المحتمل أنهم لا يستطيعون فهم قوانين المجتمع أو تقدير مترتبات أفعالهم، كما لاحظ الباحثان كذلك أن المجرمين يتسمون بالاندفاعية.

فحاول الباحثان أن يضعا تصورا متكاملا للعوامل المسؤولة عن نشأة السلوك الإجرامي. فجمعا بين الاستعداد الوراثي وعوامل البيئة الاجتماعية في عمومها، والبيئة الأسرية على وجه الخصوص، بالإضافة إلى تناولها لبعض المتغيرات النفسية مثل الذكاء والاندفاعية والنوع. والمتأمل في هذا التصور النظري يجد أنه يقترب إلى حد كبير من تصور "هورتون" و"لسلى" مع التأكيد على أهمية الاستعداد الوراثي للإجرام وتأثره المباشر بأفكار "شيلدون وجلوكس" وغيرهما

بخصوص بناء الجسم وعلاقته بالجريمة. **(شحاتة ربيع وآخرون، 1994، ص 137)**

من خلال ما سبق عرضه، نصل إلى أن الاتجاه التكاملي في تفسير السلوك الإجرامي هو الاتجاه الذي انطلق من ثلاث نقاط أساسية وهي كالتالي:

(أ) **الشمولية:** ويعني أن الجريمة لا ترتبط بالفاعل فقط، ولا بالفعل الإجرامي لوحده، بل ينظر هذا الاتجاه إلى هذين العاملين كعملة واحدة (الفاعل والفعل الإجرامي)

(ب) عدم الارتباط باختصاص معين: لا ينطلق الاتجاه التكاملي من اختصاص معين، بل من جميع الاختصاصات التي عالجت الجريمة والسلوكات المنحرفة، فتحاول أخذ التفسيرات المناسبة والأفضل.

(ج) تعدد العوامل: يعتمد الاتجاه التكاملي في تفسيره للسلوك الإجرامي على عوامل متعددة، إذ ينطلق من أن الجريمة والسلوك المنحرف لا يفسر بعامل واحد فقط، بل بمجموعة من العوامل التي تؤثر في الفرد واستعداداته، وموروثاته، كما تأخذ بعين الاعتبار العوامل النفسية والاجتماعية، وهو بذلك يربط العوامل المختلفة والمتعددة بصورة تفاعلية وتكاملية، قصد الوصول إلى نموذج تفسيري شامل ومتكامل. (**حسن طالب، 1994، ص ص 76-77**)